

الباب الحادي عشر

في ذكر أيام حروب العرب
في الجاهلية ومبادئ الإسلام

اعلم أن الحروب الواقعة بين العرب في الجاهلية أكثر من أن تحصر، ومنها عدة وقائع مشهورة لا يتسع هذا الموضع لذكرها، ولنذكر بعضها على وجه الإجمال، فنقول:

من أيام العرب يوم البسوس: وهو من أعظم حروب العرب وكان بين بني بكر بن وائل، وبني تغلب وسبب ذلك هو أن كليب بن ربيعة يقال فيه: أعز من كليب وائل، لما اجتمعت إليه معد كلها وملكوه عليهم وجعلوا له تحية الملك وتاجه وطاعته دخله هو شديد فبنى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان لا توقد نار مع نار ولا يرد أحد مع أبله ولا يمر أحد بين يديه وكان تحته جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان وهي أخت جساس بن مرة الذي يسمّى الحامي الجار وقد همى كليب أرضاً من العالية في أول الربيع لا يقربها إلا محارب ثم إن رجلاً يقال له: سعد الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد منات بن تميم وهي خالة جساس بن

مرة، وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهي التي ضربت العرب بها المثل فقالوا: أشأم من سراب، وأشأم من البسوس.

فخرج كليب يومًا يتعد الإبل ومراعيها، وكانت إبله وإبل جساس مختلطة فنظر إلى سراب فأنكرها فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمي، فقال كليب: لا تعد هذه الناقة إلى هذا الحمى، فقال جساس: لا ترعى إيلي إلا وهذه معها فقال كليب: لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها، فقال جساس: لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضعن سنان رمحي في لبتك ثم تفرقا.

وقال كليب لامرأته: أترين في العرب رجلًا مانعًا مني جاره، قالت: لا أعلمه إلا جساسًا ثم إن كليبًا خرج إلى الحمى وجعل يتصفح الإبل فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فأنفذه فولت ولها رغاء حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما بها صرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جاراها فخرجت إليه، فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثم صاحت وجساس يراها ويسمع فخرج إليها، وقال: لها اسكتي ولا تراعي وسكن الجرمي، وقال لها: إني سأقتل غلالًا فحل إبل كليب ولم ير في زمانه مثله، وإنما أراد جساس بمقاتته كليبًا وكان لكليب عينًا يسمع ما يقولون فأعاد الكلام على كليب، فقال: لقد اقتصر من يمينه على غلالي ولم يزل جساس يطلب غرة كليب فخرج كليب فخرج كليب يومًا آمنًا فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليبًا فوقف كليب فقال له جساس: يا كليب، الريح وراك فقال: إن كنت صادقًا فأقبل إلي من أمامي ولم يلتفت إليه فطعنه فأرداه

عن فرسه فقال: يا جساس، أغثني بشرية من ماء، فقال له: تجاوزت شيبًا والأحص
ماء ان هناك وفي ذلك يقول عمرو بن الأبيم:

وإن كليبًا كان يظلم قومه فأدركه مثل الذي تريان
فلما جفاه الرمح كف بن عمه تذكر ظلم الأهل أي وإن
وقال لجساس أغثني بشرية وإلا فخزني من رأيت مكاني
فقال تجاوزت إلا حص ومائه وبطن شبيب وهو غير دفان

وقيل في سببه غير ذلك فلما قضى كليب نجه أمر رجلاً معه اسمه عمرو بن
الحارث بن ذهل بن شيبان فجعل عليه أحجارًا لثلا تأكله السباع ولم قتل جساس
كليب انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه فلما نظر أبو مرة إلى ذلك قال: لقد
أتاكم جساس بداهية ما رأيته قطُّ بادي الركبتين إلى اليوم فلما وقف على أبيه وأخبره
بأنه قد قتل كليب لأمه أبوه على ذلك ثم إن أباه خاف خذلان قومه لما كان من
لائمته إياه فالتزم محاربة بني تغلب وقال مجيبًا لابنه جساس لما أراد منه التأهب
لذلك:

إن تكل قد جنيت عليَّ حربا بغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يدك على كليب فلا وكل ولارث السلاح
مالبس ثوبها وإذ ودعيني بها عارًا للذلة والفضاح

ثم إن مرة دعا قومه إلى نُصرته فأجابوه وجلوا الأسنة وشحدوا السيوف
وقوموا الرماح وتأهبوا الرحلة إلى جماعة قومهم وكان همام بن مرة أخو جساس
ومهلل أخو كليب في ذلك الوقت يشربان فبعث جساس إلى همام جارية له تخبره

الخبر فانتهدت إليهما وأشارت إلى همام فقام إليها فأخبرته، فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية؟ وكان بينهما عهد لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً فذكر له، ما قالت الجارية، فقال له مهلهل: است أخيك أضيق من ذلك الشرب فالיום خمر وغداً أمر فأقبلا على شربهما فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام إلى أهله فساروا من ساعتهم إلى جماعة قومهم.

وأما مهلهل فإنه لما صحا من سكره لم يرعه إلا النساء يصرخن وقد شقوا الجيوب وخشوا الوجوه وخرجت الأبقار وذوات الخدود والعواتق إليه وقمن للمأثم فجز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك العزل وحرم القمار والشرب وجمع إليه قومه وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليياً بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمه وأنا نعرض عليكم عليلاً خلالاً أربعاً لكم فيها مخرج ولنا مقنع. أما أن تُحْيي كليياً أو تدفع إلينا قاتله جساس نقتله به أو هماماً فإنه كفواً له أو نمكنا من نفسك فإن فيك وفاء من دمه.

فقال لهم: أما أحيائي كليياً فلست قادراً عليه، وأما جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا ندرى أي البلاد احتوت عليه، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فإن يسلموه أذفعه إليكم ... بجزيرة غيره، وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولةً فأكون أول قتيل بينهما فما أتعجل الموت؛ ولكن عندي خصلتان: أما أحدهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا

أيهم شتم بصاحبكم، وأما الأخرى فإننا أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر
فغضب القوم.

وقالوا: لقد أساءت، تبذل لنا صغار ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب
ونشبت الحرب بينهم ودامت بين الفريقين أربعين سنة.

وقال مهلهل: عدّة قصائد يرثي كليبًا ويطلب ثاره فيها فأول وقعة وقعت
بينهم كانت الدائرة فيها لبني تغلب، ثم التقوا يوم واردات فاقتلوا قتالًا شديدًا
فظفرت تغلب أيضًا، وأكثر القتل في بكر فقتل همام أخو جساس فمر به مهلهل فلما
رآه قتيلاً قال: والله ما قتل بعد كليب أعز عليّ منك، وتالله لا تجمع بكر بعدكما على
خير أبدًا، وقيل: قتل في غير هذه الوقعة ووقعت بينهما وقعات أخر كان الظفر فيها
لتغلب.

وكانت تغلب تطلب جساسًا أشد الطلب فقال له أبوه مرة: الحق بأخوالك
بالشام فامتنع فألح عليه أبوه فسبره سرًا في خمسة نفر وبلغ الخبر إلى مهلهل فندب أبا
نويرة ومعه ثلاثون رجلًا من شجعان أصحابه فساورا مجدين فأدركوا جساسًا
فقاتلهم فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبقَ منهم غير رجلين وجرح جساس جرحًا
شديدًا مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضًا فعاد كل واحد من
السالمين إلى أهله فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال: إما يحزنني إن كان لم يقتل منهم
فيقل له: إنه قتل بيده أبو نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلًا ما شرکه منا
أحد في قتلهم وقتلنا نحن الباقيين.

فقال: ذلك مما يسكن قلبي وقيل في قتل جساس غير ذلك فلما قتل جساس قال أبوه مرة لمهلل: إنك قد أدركت ثأرك وقتلت جساسًا فأكفف عن الحرب ودع اللجاج والإسراف وأصلح ذات الين فهو أصلح للحين وإنكأ لعدوهم فلم يجب إلى ذلك وكان الحارث بن عباد وقد اعتزل الحرب فلم يشهدا فلما قتل جساس وهما أبناء مرة حمل ابنه بجير وكتب معه إلى مهلهل إنك قد أسرفت في القتل وأدرك ثأرك سوى من قتل من بكر وقد أرسلت ابني إليك فإما قتلته بأخيك وأصلحت بين الحين وإما أطلقته وأصلحت ذات الين فقد مضى من الحين في هذه الحروب من كان بقاؤه خير لنا ولكم فلما وقف على كتابه أخذ بجيرًا فقتله، وقال يقود بشسع نعل كليب في قتله غير ذلك ولما بلغ الحارث قتل ابنه قال: نعم القتل قتيلاً أصلح بين بني وائل فظن أن مهلهلاً جعله كفواً للكليب فأدرك ثأره فقبل له: إنما قتل بشسع نعل كليب فغضب عند ذلك وآلى أنه لا يصالح تغلبًا حتى تكلمه الأرض وقال:

قربًا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيا لي

وهي قصيدة طويلة يذكر فيها قربًا مربط النعامة مني في خمسين بيتًا وهي نحو المائة بيت فأتوه بفرسه النعامة ولم يكن في زمانها مثلها وولي أمر بكر وشهد حريمه وكان أول يوم شهده يوم تحلاق اللمم وإنما سمي بذلك لأنه قال لبكر أحملوا معكم نسائكم يكن من ورائكم فإذا وجدوا جريحًا منهم قتلوه، وإذا وجودا جريحًا منا سقوه وأطعموه فقالوا: ومن أين يتميز لهم بني بكر من بني تغلب، فقال: لهم احلقوا رءوسكم لتميئوا بذلك ففعلوا فسمي يوم تحلاق اللمم فحلقت بكرًا

جميعها رءوسها إلا حجر بن ضيعة منهم وكان شجاعاً فقال لهم: اتركوا لمتي وأنا أقتل لكم أول فارس يقدمهم فوفى بعهده لهم ثم إنه صرح بعد ذلك فلما رأينه نساء بني بكر ظنوه من تغلب فأجهزوا عليه وقاتل يومئذ الحارث بن عبادة قتالاً شديداً فقتل في بني تغلب مقتلة عظيمة وفي هذه اليوم أسر الحارث بن عبادة مهلهلاً واسمه عدي وهو لا يعرفه فقال: دلني على عدي وأخلي عنك، فقال له مهلهل: عليك عهد الله بذلك إن دلتك عليه قال: نعم، فأنا عدي فجزنا صيته وتركه وقال في ذلك:

هف نفيس على عدي ولم أعرف عدياً إذا مكّتي البدان

وانكشف في هذا اليوم تغلب، وكان هذا اليوم أول يوم ظهرت فيه بكر على تغلب، وكان الظهور قبل ذلك لتغلب ثم صارت أيام بعد ذلك بينهم دون ذلك ثم لم يكن بينهما مزاحفة إنما كانت مغارات ثم إن مهلهل قال لقومه: قد رأيت إن تبقوا على قومكم فإنهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة فلو مرت هذه البنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الأمهات ويثم الأولاد وناحية لا تزال تصرخ بالنواحي ودموع لا ترقى وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وأن القوم سيرجعون إليكم بمودتهم وينموصلتهم وتنعطف الأرحام فكان كما قال ثم قال مهلهل: أما أنا ما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب وأخاف أن أحلكم على الاستيصال وأنا سائر إلى اليمن وفارقهم وسار ونزل في مذحج فخطبوا إليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا إليه صداقها قبة من آدم ثم إن مهلهلاً عاد إلى

ديار قومه فأخذه عمرو بن مالك البكري أسيرًا وهو لا يعرفه بنواحي هجر فأحسن أساره فمر عليه تاجر لبييع الخمر قدم بها من هجر وكان صديقًا لمهلل وأهدى إليه وهو أسير زقًا من خمر فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكرًا وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أفرد له عمرو فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب فسمع عمرو ذلك فقال له:

إنه لريان والله لا يشرب ماء فمات مهلهل عطشًا وقيل في موته غير ذلك والله أعلم.

ومن أيامهم يوم داحس والغبراء: وهو من أيام العرب العظيمة وكان بين عبس وذبيان والسبب الذي هاج الحرب من أجله هو أن قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري تراهما على داحس وهو لقيس والغبراء وهي لحذيفة بن بدر بأن يجريا هما وجعلا الرهان مائة ناقة ويكون منتهى الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين يومًا ثم أرسلهما إلى رأس الميدان وكان في موضع الغاية شعاب كثيرة فأمكن حمل بن بدر أخو حذيفة في تلك الشعاب فتیانًا من فزارة على طريق الفرسين وقال لهم: إن جاء داحس سابقًا فردوه عن الغاية ثم أرسلوها فخرجت الأنثى على الفحل ثم برز الفحل عن الغبراء وسبقهما فلما شارف داحس الغاية ودنى من الفتية وثبوا في وجهه فردوه حتى برزت عليه الغبراء فتشاجا في الحكم في السب واستعدوا للحرب ودامت الحرب بينهم أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب.

وفي هذه الحرب ظهر شجاعة عنتر بن شداد وتفصيل ما وقع بين عبس وذيان المذكور في التواريخ.

ومن أيامهم يوم النصار: وكان بين بني ضبة بن أد وبني تميم بن مر والنسار جبل متجاورة وعندها كانت الوقعة وهو موضع معروف عندهم فسبب ذلك وتفصيله المذكور في التواريخ.

ومن أيامهم يوم الجفار: لما كان على رأس الخول من يوم التسار اجتمع من العرب من كان شهد يوم النصار فالتقوا بالجفار واقتتلوا وصبرت تميم فعظم فيها القتل وتفصيل ذلك في التواريخ.

ومن أيامهم أيام الفجار: بكسر الفاء وبالجيم وكانت أربعة أيام الأول بين كنانة وقيس وكان بعد الفيل بعشرين سنة وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة ولم يكن في أيام العرب أشهر منه وإنما سمي الفجار لما اشتمل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم وكان سببه أن البراض بن قيس بن رافع الكناني ثم الضمري كان رجلاً فاتكاً خليعاً قد خلعه قومه لكثرة شره وكان يضرب به المثل بفتكه، فيقال: أفك من البراض فخرج حتى قدم على النعمان بن المنذر وكان النعمان يبعث كل عام بتجارة إلى عكاظ تباع له هناك فقال النعمان - وعنده البراض وعروة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال وإنما قيل له ذلك لكثرة رحلته إلى الملوك ومن - يميز تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ.

فقال البراض: أنا أجيزها أبيت اللعن على كنانة فقال النعمان: إنما أريد من يجيزها على كنانة وقيس، فقال عروة: أنا أجيزها على أهل الشيخ والقيصوم من أهل تهامة ونجد فقال البراض: وغضب وعلى بني كنانة تجيزها يا عروة، قال عروة: ومن الناس كلهم فدفع النعمان إلى عروة الرحال وأمره بالمسير بها وخرج البراض يتبع أثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى إذا كان بين ظهري قومه أخرج البراض قداحه يستقسم باها في قتل عورة فقال: ما تصنع يا براض، فقال: استقسم في تلك أيؤذن لي أم لا؟

فقال عروة: استك أضيق من ذلك، فوثب إليه البراض بالسيف فقلته فلما رآه الذين يقومون على العير والأهال قتيلاً انهزموا فاستاق البراض العير وسار على وجهه إلى خيبر وتبعه رجلاان ومن قيس ليأخذه أحدهما عنوي والآخر غطفاني فلقيهما البراض بخير أول الناس:

فقال لهما: ممن الرجلان؟ قالوا: من قيس قدمنا لنقتل البراض فأنزلهما وعقل راحليتهما، ثم قال: أيكما أجرى عليه وأجود سيفاً قال الغطفاني: إني أنا فأخذه ومشأ به ليدله بزعمه على البراض.

وقال للغنوي: احفظ راحليتكما ففعل وانطلق البراض بالغطفاني حتى أخرجته إلى خربة في جانب خيبر خارجاً عن البيوت.

فقال الغطفاني هو في هذه الخربة إليها يأوي فأمهلني حتى أنظر هو فيها أم لا، ودخل البراض ثم خرج فقال: هو فيها وهو نائم فأرني سيفك حتى أنظر إليه أضراب هو أم لا؟ فأعطاه سيفه فضربه حتى قتله ثم أخفى السيف وعاد إلى الغنوي ، فقال له: لم أر رجلاً أجبن من صاحبك تركته في البيت الذي فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه، فقال: انظر لي من يحفظ الراحلتين حتى أمضي إليه وأقتله، فقال: دعهما وهما عليّ، ثم انطلقا إلى الخربة فقتله أيضًا وساق العير إلى مكة فوقع بين كنانة وقيس حرب عظيمة وقاتل شديد مذكور في التواريخ.

والثاني: بين قريش وكنانة، والثالث: بين بني كنانة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ولم يكن فيه كبير قتال، والرابع: بين قريش وهوازن وتفصيل ما وقع في هذه الأيام في التواريخ لا يسع هذا الموضع لتقل بعضه.

ومن أيامهم يوم ذي قار: وكان من أعظم أيام العرب، كان سنة أربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل في عام بدر، وكان بين بني شيبان وكسرى أبرويز وكان الظفر لبني شيبان وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم، وسبب ذلك وتفصيل ما وقع بينهم مذكور في التواريخ وتركناه لشهرته وعدم اتساع مثل هذا الموضع له.

ومن أيامهم يوم شعب جبّلاه: وذلك أن لقيط بن زرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صعصعة للأخذ بثأر أخيه معبد بن زرارة لأنه مات عندهم أسيرًا فبينما هو يتجهز أتاه الخبر بحلف بني عبس وبني عامر فلم يطمع في القوم وأرسل إلى كل

مكان بينه وبين عبس دخل يسأله الحلف والتظافر على غزو عبس وبني عامر فاجتمع إليه أسد وغطفان وعمرو بن الجون ومعاوية بن الجون واستوثقوا واستكثروا وسار فعقد معاوية بن الجون الألوية.

فكان بنو أسد وبنو فزارة مع معاوية بلواء وعقد لعمر بن تميم مع حاجب بن زرارة وعقد للرباب مع حسان بن همام وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو بن عدي الحنظلة بأسرها مع لقيط بن زرارة وساروا في جمع عظيم لا يشكون في قتل عبس وعامر وإدراك ثأرهم فلقى لقيط في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفًا، فقال: ما منعك أن تسير معنا، فقال: أنا مشغول في طلب إبل لي فقال: لا بل تريد أن تنذر القوم ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم فحلف لهم فسار عنه وهو مغضب فلما دنى من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكًا وترابًا وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فأخذها معاوية بن بشر فأتى بها الأخوص بن جعفر وأخبر أن رجلاً ألقاها وهم يسقون فقال الأخوص لقيس بن زهير العبسي ما ترى في هذا الأمر هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد أخذ عليه عهدان لا يكلمكم فأخبركم أن أعدائكم قد عزوكم وهم عدد التراب وأن شوكتهم شديد.

وأما الحنظلة فهم روساء القوم وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم وأما الخرقة الحمراء فهو حاجب بن زرارة، وأما الأحجار فهي عشر ليالٍ يأتيكم القوم إليها قد أنذرتكم فكونوا أحرارًا فاصبروا كما يصبر الأحرار الكرام،

قال الأخوص: فإننا فاعلون وآخذون برأيك فإنه لم ينزل بك شدة إلا رأيت المخرج منها، قال: فإذا قد رجعتم إلى رأيي فأدخلوا نعمكم شعب جبلة ثم أظمئوها هذه الأيام ولا توردوها الماء فإذا جاء القوم اخرجوا عليهم الإبل وانخسوها بالسيوف فتخرج عطاشاً فتشغلهم وتفرق جمعهم وأخرجوا أنتم في أثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما أشار به وسار لقيط حتى نزل على الشعب بعساكر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم إلا الماء فقصدوه فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الإبل ففعلوا ذلك فخرجت الإبل وهم في أعراضها وأدبارها فخبطت تميمًا ومن معها وقطعتهم وكانوا في الشعب فأبرزتهم إلى الصحراء على غير بغية وحملت عليهم عبس وعامر فاقتلوا قتالاً شديداً وكثرت القتلى في تميم وأنجاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه فاجتمع إليه نفر يسير ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح أنا لقيط وحمل ثانية فقتل وخرج وعاد فكثر جمعه فحمل عليه عنبرة فطعنه طعنةً قصم بها صلبه وضره قيس بالسيف فألقاه قتيلاً وتمت الهزيمة على تميم وغطفان.

ومن أيامهم يوم زَحْرَحَانَ: بالمهملات وكان بين بني دارم وعامر بن صعصعة وسببه أن خالد بن جعفر بن كلاب لما قتل زهير بن جذيمة العبسي لسبب يطول ذكره مفصلاً في التواريخ وكان زهير سيد غطفان فعلم خالد أن غطفان ستطلبه بسيدها فسار إلى النعمان بالحيرة فاستجاره فأجاره فضرب له قبة وخرج بنو زهير بهوازن.

فقال الحارث بن ظالم المري: اكفوني ضرب هوازن وأنا أكفيكم خالد بن جعفر وسار حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرًا فأقبل النعمان يسأله فحسده خالد فقال النعمان: أبيت اللعن هذا رجل لي عنده يد عظيمة قتلت زهيرًا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها فقال الحارث: سأجزيك على يدك عندي وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع بين أصابعه من الغضب، فقال عروة لأخيه خالد: ما أردت بكلامه وقد عرفته، فقال خالد: أتخوفني منه فوالله لو رأي نائمًا ما أيقظني ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتها فشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه، فلما أظلم الليل انطلق الحارث على خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك، ثم أيقظ خالد فلما استيقظ، قال: أتعرفني قال: أنت الحارث، قال: خذ جزاءك مني وضربه بسيفه فقتله، ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار وخرج عروة من القبة يستغيث فأتى باب النعمان ودخل عليه وخبره الخبر فبث الزجال في طلب الحارث.

قال الحارث: فلما سرت قليلاً خفت أن أكون لم أقتله فعدت متنكرًا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت أنه مقتول وعدت فلحقت بقومي فجعل النعمان يطلب الحارث ليقتله وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دازم فأجاره على النعمان وهوازن.

فلما علم النعمان ذلك جهز جيشًا إلى بني دارم عليهم ابن الحمس التغلبي وكان يطلب الحارث بدم أبيه لأنه كان قتله ثم إن الأخوص بن جعفر أخا خالد جمع بني عامر وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بني دارم وساروا فلما صاروا بأدنى مياه بني درام رأوا امرأة تجني الكمأة ومعها جمل لها فأخذها من غنى وتركها عنده فلما كان الليل نام فقامت إلى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بني دارم وقصدت سيدهم زرارة فأخبرته الخبر، وقالت: أخذني أمس قوم لا يؤثرون غيرك ولا أعرفهم قال فصنفهم لي قالت: رأيت رجلًا سقط حاجباه فهو يرفعها بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون قال ذلك الأخوص وهو سيد القوم، قالت: ورأيت رجلًا قليل المنطق إذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الإبل بفحلها أحسن الناس وجهًا ومعه ابنان يلازمانه قال: ذلك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل، ثم وصفت له رجلًا آخر فعرفهم فأمرها زرارة فدخلت بينها وأرسل إلى الرعاء يأمرهم بإحضار الإبل ففعلوا وأمرهم فحملوا الأهل والأولاد وساروا نحو بلاد بغيض وأخبر الغنوي بني عامر بحال المرأة وهربها فسقط في أيديهم واجتمعوا يريدون الرأي، فقال بعضهم: كأي بها قد أتت قومها فأخبرتهم الخبر فحذر وأرسلوا أهلهم وأموالهم إلى بلاد بغيض وياتوا معدين لكم في السلاح فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم فإنهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتها ونصرف فركبوا يطلبون ظعن بني دارم فلما أبطأ القوم عن زرارة قال لقومه: إن القوم قد توجهوا على ظعنكم وأموالكم فيسروا إليهم فساروا مجدين فلحقوهم قبل أن يصلوا إلى الظعن والنعم فاقتلوا قتالًا شديدًا فقتلت بنو مالك من حنظلة بن الحمس التغلبي ورئيس جيش

النعمان، وأسرت بنو عامر معبد بن زرارة بنود دارم حتى انتصف النهار وأقبل قسيس بن الزهير معه من ناحية أخرى فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا إلى بلادهم ومعبد أسير مع بني عامر فبقي معهم حتى مات، وقيل في استجارة الحارث غير ذلك.

ومن أيامهم يوم الفلج: وهو موضع بين البصرة و صَرِيَّة وكان بين بني حنيفة وبين بني عامر وفيه وقعتان: الأولى: لبني عامر على بني حنيفة، والأخرى: لبني حنيفة على بني عامر، وذكر في الكامل ناقلاً عن أبي عبيدة أن يوم فاح يوم ل بكر بن وائل على تميم وفيه بيان سبب ذلك.

ومن أيامهم يوم طخفة: وطخفة بالكسر والفتح جبل أحمر طويل حذاه آبار ومنهل وكان لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء قاله في القاموس وسببه أن الرداقة وهي بمنزلة الوزارة إذ كان الرديف يجالس عن يمين الملك وكانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيراً من كبير فلما كان أيام النعمان سألها حاجب بن زرارة الدارمي التميمي أن يجعلها للحارث من بني مجاشع التميمي فقال النعمان لبني يربوع ذلك وطلب منهم أن يجيبوا إلى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم أسفل طخفة فلما امتنعوا من ذلك وجد إليهم قابوساً وحساناً أخواه ابني المنذر وجعل قابوساً على الناس وحساناً على المقدمة وضم إليهم جيشاً كثيفاً من عساكره ومعهم أقوام من تميم وغيرهم فساروا حتى أتو طخفة فالتقواهم ويربوع فاقتلوا وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره وأراد أن يجز

ناصيته فقال: إن الملوك لا تجز نواصيها فأرسله وأما حسان فأسره بشر بن عمرو فمنَّ عليه وأرسله فعاد المنهزمون إلى النعمان.

وكان شهاب بن قيس اليربوعي عنده فقال له: يا شهاب، أدرك قابوسًا وحسانًا فإن أدركتهما حين فأدر على بني يربوع رداقتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيتهم ألفي بعير فسار شهاب فوجدهما حين فأطلقتهما ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يتعرض لهم في رداقتهم.

ومن أيامهم يوم المروت والرموت: كسفود اسم لوادٍ لبني لحمان بن عبد العزى قاله في القاموس وكان بين بني تميم وبني عامر وسببه أنه التقى قنعب الرياحي وبجير بن عبد الله العامر بعكاظ، فقال بجير: يا قنعب، ما فعلت فرسك البيضاء، قال: هي عندي وما سؤالك عنها، قال: لأنها نجتك مني يوم كذا وكذا، فأنكر قنعب ذلك وتلاعنا وتداعيا بأن يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق فأمكننا ما شاء الله وجمع بحير بن عامر وسار بهم فأغار على بني العنبر من تميم فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالًا شديدًا وأتى الضريخ بن عنبر وبني مالك بن حنظلة وبني يربوع بن حنظلة فركبوا في الطلب فتقدم بنو مالك.

فلما انتهى بحير على المروت قال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئًا قالوا: نرى خيلاً عارضةً رماحها، قال هذه مالك بن حنظلة وليست بشيء فلحقوا فقاتلوا شيئًا من قتال ثم صدروا عنهم ثم قال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئًا قالوا: نرى خيلاً ليست رماح وكأنها عليها الصبيان، قال هذه يربوع رماحها بين أذان

خيلها أتاكم الموت فاصبروا ولا أظن أن تنجوا فلحقهم يربوع فاقتلوا قتالاً شديداً وحمل كدام المازني على بحير فعانقه ولم يكن لقعنب همة إلا بحير فنظر إليه وإلى كدام قد تعانقا فأقبل نحوهما، فقال: يا قعنب، فقال قعنب: ماز رأسك والسيف يريد يا مازني فخلى عنه كدام وشد عليه قعنب فضربه فقتله واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسيبهم من بني عامر وعادوا.

ومن أيامهم يوم الشقيقة: بشين معجمة وقافين وهي الفرجة بين الجبلين، وكان هذا اليوم بين بني شيبان وضبة بن أد وقد قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان وسببه أن بسطام بن قيس غزا بلاد ضبة فلما دنى من بلادهم أغار هو وأصحابه على إبلهم فاطردوها وكان مع الإبل ألف ناقة لمالك الضبي من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة، قد فقأ عين فحلها، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية إذا بلغت إبل أحدهم ألف بعير فقتلوا عين الفحل ليرد عين العاين، وكان يقال لذلك الفحل الأعور الذي في إبل مالك أبو شاعر، وكان مالك عند الإبل ففجأ مالك على فرسه إلى قومه ضبة، فلما أشرف عليهم نادى يا صباحاه ودعا راجعاً وأدرك فوارس القوم وهم يطردون النعم وكان بسطام في أخريات الناس على فرس أدهم يقال له زعفران يحمي أصحابه فلما لحقت خيل ضبة قال مالك: ارموا ارموا يا القوم فجعلوا يرمونها فيشقونها ولحقت بنو ثعلبة وفي أوائلهم عاصم الصباحي وكان ضعيف العقل وكان قبل ذلك يعصب قناة له فيقال له: ما تصنع بها يا عاصم فيقول: أقتل بها بسطاماً فيهزئون منه فلما جاء الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحق الخيل.

فقال لرجل من ضبة: أيهم الرئيس؟ قال: صاحب الفرس الأدهم فعارضه عاصم حتى حاذاه، ثم حمل عليه فطعنه في الرمح في صمخ أذنه وأنفذ الطعنة إلى الجانب الآخر وخر بسطام قتيلاً فلما رأت ذلك شييان خلوا سبيل النعم وولوا الأدبار، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس في سبعين من بني شييان فلما وصل المنهزمون لم يبق في بكر بن وائل بيت إلا وألقى لقتل بسطام لعلو محله.

ومن أيامهم يوم عين أباغ: وأباغ كسحاب ويثلك موضع بالشام أو بين الكوفة والرقه قاله في القاموس.

وكان بين المنذر بن ماء السماء وبين الحارث الأعرج بن أبي شمر الغساني، وسبب ذلك أن المنذر ملك العرب سار من الحيرة بجنوده كلها حتى نزل بعين أباغ وأرسله إلى الحارث الأعرج ملك العرب بالشام، إما تعطي الفدية فانصرف عنك بجنودي، وإما أن تأذن بحرب فأرسله إليه الحارث أنظرنا فنظر في أمورنا، ثم جمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له لا تهلك جنودي وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدي ورجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر، وإذا أفنى أولادنا خرجت أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه فأمره أن يخرج ووقف بين الصفيين ويظهر أنه ابن المنذر فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كريب فلما رآه رجع إلى أبيه، وقال: إن هذا ليس بابن المنذر إنما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال: يا بني، أجزعت من الموت ما كان الشيخ يعذر، فعاد إليه فقاتله فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي

المنذر وعاد فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه فخرج إليه فلما واقفه رجع، وقال: يا أبت هذا والله عبد المنذر فقال: يا بني، ما كان ليعذر فعاد إليه فشد عليه الفارس فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر، فقال: أيها الملك، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بآبن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر بإخراجه فلحق بعسكر الحارث فأخبره فلما كان الغد عبي الحارث أصحابه وحرّضهم وكان في أربعين ألفاً واصطفوا للقتال فاقتلوا قتالاً شديداً، فقتل المنذر وهزمت جنوده وسار الحارث إلى حيرة فأنهبها وحرّمها وفي ذلك يقول بعض غسان:

كم تركنا بالعين عين أباغ من ملوك وسوقة أكفاء
 أمطرتهم سحائب الموت تترى إن في الموت راحة الأشقياء
 ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

ومن أيامهم يوم مرج حليلة: لما قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ذكره ملك بعد ابنه المنذر ويلقب بالأسود، فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده وبعث إليه إنني قد أعددت لك الكحول على الفحول فأجابه الحارث بأني قد أعددت لك المرد على الجرد.

فسار المنذر حتى نزل بمرج حليلة ثم إن الحارث سار فنزل بالمرج أيضاً، فأمر أهل القرى التي في المرج أن يصنعوا الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان وتركوه في العسكر، فكان الرجل يقاتل فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجفان

فأكل منه فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أيامًا ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره ودعا ابنته هنداء وأمرها فاتخذت طيبًا كثيرًا في الجفان وطيبت به أصحابه، ثم نادى في غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداء فقال ليبد بن عمرو الغساني لأبيه، يا أبتِ أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة ولست أرضى فرسي فأعطني فرسك فأعطاه فرسه.

فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد ليبد على الأسود فضربه ضربةً فألقاه عن فرسه وانهمز أصحابه في كل وجه ونزل فاحتز رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم فألقى الرأس بين يديه فقال له الحارث: شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها، فقال: بل انصرف فأوآسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخاه قد رجع وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فتقدم ليبد فقاتل وقتل ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره وانهمزت عرب العراق هزيمة ثانية وقُتلوا في كل وجه، وانصرفت غسان بأحسن ظفر وذكر أن الغبار في هذا اليوم اشتد وكثر حتى سترت الشمس وظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر؛ لأن الأسود سار بعرب العراق أجمع، وسار الحارث بعرب الشام أجمع، وهذا اليوم من أشهر أيام العرب.

ومن أيامهم يوم أواره: وأواره ماء أو جبل لتميم قاله في القاموس وكان بين عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي وبين بني تميم وسببه أن عمرًا كان قد ترك ابنًا له اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمي، فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فرمى

ضرعها فشد عليه مالکها سوید أحد بني عبد الله بن درام التميمي فقتله وهرب
ولحق مكة فحالف قريشاً.

فلما بلغ عمرو ذلك غزا بني درام وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فارس
فسار يطلبهم حتى بلغ أواره، وقد بلغوا الجبل فأقام مكانه وبث سراياه فيهم فأتوه
بتسعة وتسعين رجلاً سوى من قتلوا في غارتهم فقتلهم فجاء رجل من البراجم
شاعر ليمدحه فأخذه ليقبله ليم به مائة، فقال: إن الشقي وافد البراجم فذهبت مثلاً
وتفصيل ذلك مذكور في التواريخ.

ومن أيامهم يوم الغبيط: وكان بين بني شيبان وتميم وسبب ذلك أن بسطام
بن قيس والحوفزان بن شريك ساروا في جمع من بني شيبان إلى بلاد بني تميم فأغاروا
على ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد وثعلبة بن عدي بن قران وثعلبة بن سعد بن
ضبة، وكانوا متجاورين بصحراء فلج فاقتلوا قتالاً شديداً فهزمت الثعلابة، وقتل
منهم مقتلة عظيمة، وغنم بنو شيبان أموالهم ومروا على بني مالك بن حنظلة من
تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا إبلهم فركبت ومقدمهم عتيبة بن
الحارث بن شهاب اليربوعي وفرسان بني يربوع وساروا في إثر بني شيبان
فأدركوهم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان، ثم انهزمت شيبان واستعادت
تميم ما كانوا غنموه من أموالهم وقتل أبو مرحب ربيعة بن حصين وألح عتيبة بن
الحارث على بسطام بن قيس فأدركه، فقال له: استأسرا بالصهباء فإننا خير لك من
الفلات والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس ثم إن بسطام بن قيس فادى نفسه

بأربعمائة بعير، وقيل: بألف بعير وثلاثين فرسًا وهودج أمه لحكاية جرت فاشترط عليه عتية ذلك.

فلما خلص بسطام من الأسر أذكى العيون على عتية وإبله فعادت إليه عيونه فأخبروه أنها على الرباب فأغار عليها وأخذ الإبل كلها وما لهم معها.

ومن أيامهم يوم الزويرين: وكان لبني بكر على تميم وسببه أن بكر بن وائل قد أجذبت بلادهم فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر فلما تدانوا جعلوا لا يلقى بكريًا تميميًا إلا قتله ولا يلقى تميميًّا بكريًا إلا قتله ثم عظم الشرب بينهم فخرج الحوفزان ومعه جماعة من بني شيبان ليغيروا على بني درام فاتفق أن في تلك الحال اجتمعت تميم في جمع كثير من عمرو وحنظلة والرباب وسعد وغيرها، وسارت إلى بكر بن وائل وعليهم أبو الرئيس الحنظلي، فبلغ خبرهم بكر بن وائل فقدموا عليهم الأصم عمرو بن قيس بن مسعود وحنظلة بن يسار العجلي وحران بن عبد عمرو، فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين معقولين وسموهما زويرين، وقالوا: لا نفر حتى يفر هذان البعيران فلما رأى عمرو بن قيس بن مسعود البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما، فقال: أنا زويركم وبرك بين الصفين، وقال قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر فاقتل الناس قتالًا شديدًا فوصلت شيبان إلى البعيرين فأخذوهما وذبحوهما واشتد القتال عليهما وانهمزت تميم، وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير وأحرزت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا أسراء كثيرة، ووصل الحوفزان إلى النساء والأموال فقد

سار الرجال عنها للحرب فأخذ جميع من خلفوه من النساء والأموال وعاد إلى أصحابه سالمًا.

ومن أيامهم يوم مُسحلان: ومسحلان -بالضم- اسم لوادٍ قاله في القاموس، وكان بين كلب وبني شيبان وذلك أن ربيع بن زياد الكلبي غزا في جيش من قومه فلقى جيشًا من بني شيبان فاقتلوا قتالًا شديدًا فظفر بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وأسرُوا ناسًا كثيرًا وأخذوا ما كان معهم.

ومن أيامهم يوم الجدود: والجدود اسم لموضع كما في القاموس، وكان بين بكر بن وائل وبني منقر من تميم وذلك أن الحوفزان بن شريك كانت بينه وبين سليط بن يربوع موأدة فهمم بالغدر بهم وجمع بني شيبان وذهلاً واللهازم وعليهم حمران بن عمرو ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غرة بن بني يربوع نذر به فلما انتهى إلى بني يربوع عتية بن الحارث بن شهاب فنادى في قومه فحالوا بين الحوفزان وبين الماء فقال لعتية إني لا أرى معك إلا رهطك وأنا في طوائف بني بكر فلئن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم ولئن ظفرتم بي ما تصلون إلا أقاصي عشيرتي وما إياكم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر ووالله لا تبروع يربوعًا أبدًا.

فأخذ ما معهم من التمر وخلي سبيلهم فسارت بكر فأغارت على بني مقاعس وهم خلوف فأصاب سبيًا ونعمًا فبعث بنو مقاعس صريخهم إلى بني كليب

فلم يجيئوهم فأتى الصريخ بني منقر فركبوا في الطلب فلحقوا بكرًا فاقتلوا قتالًا شديدًا فهزمت بكر وخلوا السبي والأموال.

ومن أيامهم يوم أعشاش: وكان بين بكر وتميم ويسمى يوم العطال وإنما سمي بذلك؛ لأن بسطام بن قيس وهاني بن قبيصة ومغروق بن عمرو تعاطلوا على الرياسة وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس وكانوا يقرونهم ويجهزونهم فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلاثمائة، وهم يتوقعون اتحدار بني يربوع في الحزن فانهدر بني عتيبة وبنو عبيد وبنو زبيد في الحزن فحلت بنو زبيد الحديقة وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الشمد، فأقبل جيش بكر فلما قربوا من الحديقة رأى بسطام السواد بها وتم غلام عرفة بسطام وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين أسره عتيبة.

فسأله بسطام عن الأسود الذي بالحديقة؟

قال: هم بنو زبيد.

قال: كم هم من بيت؟

قال: خمسون بيتًا.

قال: فأين عتيبة وبنو عبيد؟

قال: هم بروضة الشمد.

فقال بسطام: أتطيعونني يا بني بكر؟

قالوا: نعم.

قال: أرى لكم أن تغنموا هذا الحي المنفرد بني زبيد وتعودوا سالمين.

ثم إنهم أغاروا على بني زبيد، فوصل الصريخ إلى بني يربوع فلحقوهم واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت شيبان بعد أن قتلت من تميم جماعة من فرسانهم وقتل من شيبان أيضاً وأسر جماعة منهم قيصة ففدى نفسه ونجا وتفصيل ذلك في التواريخ.

ومن أيامهم يوم ظهر الدهنا: وكان بين طيء وأسد بن خزيمة وسبب ذلك أن وفود العرب من كل حي اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس بن حارثة بن لام الطائي فدعا بحلة من حلل الملوك وقال للوفود: احضروا في غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعاً إلا أوساً، فقبل له: لم تتخلف؟ فقال: فإن كان المراد غيري فأكون حاضرًا وإن كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوساً، قال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضروا منا مما خفت فحضره فألبسه الحلة فحسده قومه من أهله فقالوا للحطيئة: اهجه ولك ثلاثمائة ناقة، فقال كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا منه، فقال لهم بشر بن أبي خازم أنا أهجو لكم فأعطوه النوق فهجا وأفحش في هجائه وذكر أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فأخذها وطلبه فهرب منه والتجأ إلى بني أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه إليه عابراً فجمع أوس جديدة وطيء وسار بهم إلى أسد فالتقوا بظهر الدهنا فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو أسد وقتلوا قتلاً ذريعاً،

وهرب بشر فجعل لا يأتي حيًّا يطلب جوارهم إلا امتنع من إجارته على أوس، ثم نزل على جندب الكلابي بأعلى الصمان فأرسل إليه أوس يطلب منه بشرًا فأرسله إليه، فلما قَدِمَ به على أوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على أمه سعدى فاستشارها فأشارت أن يردَّ عليه ماله ويعفو عنه ويحبوه فإنه لا يفسد هجاءه إلا مدحه فقبل ما أشارت به، وخرج وقال: يا بشر، ما ترى إني صانع بك؟

فقال:

إني لا أرجو منك يا أوس نعمة وإني لأخزي منك يا أوس راهب
 وإني لأحبو بالذي أنا صادق به كلما قد قلت إذ أنا كاذب

فمنَّ عليه أوس وحلمه على فرس جواد وردَّ عليه ما كان أخذ منه وأعطاه من ماله مائة من الإبل.

فقال بشر: لا جرم لا مدحت أحدًا حتى أموت غيرك.

ومن أيامهم يوم الوقيط: وكان من حديثه أن اللهازم تجمعت وبني قيس وتيم اللات أبناء ثعلبة بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل ومعها بنو عجل بن لحيم وعتزة بن أسد بن ربيعة ليغيروا على بني تميم وهم غادون، فرأى ذلك الأعرور العنبري وكان أسيرًا في قيس بن ثعلبة.

فقال لهم: أعطوني رجلًا أرسله إلى أهلي أوصيهم ببعض حاجتي.

فقالوا له: ترسله ونحن حضور؟

قال: نعم.

فأتوه بغلام مولد.

فقال: أتيتموني بأحق.

فقال الغلام: والله ما أنا بأحق.

فقال: إني أراك مجنوناً.

قال: والله ما بي جنون.

قال: أتعقل؟

قال: نعم إني لعاقل.

قال: فالنيران أكثر أم الكواكب؟

قال: الكواكب فملاً كفه رملاً.

وقال: كم في كفي؟

قال: لا أدري فإنه لكثير، فأوماً إلى الشمس بيده، وقال: ما تلك؟

قال: الشمس.

قال: ما أراك إلا عاقلاً فأذهب إلى قومي فأبلغهم السلام، وقل لهم: ليحسنوا إلى أسيرهم فإني عند قوم يُحسنون إليّ ويكرموني، وقل لهم: فليعروا جملي الأحر، ويركبوا ناقتي العبساء وليرعوا حاجتي في بني مالك، وأخبرهم أن العوسج قد أورق وإن النساء قد اشتكت واسألوا الحارث عن خبري.

وسار الرسول فأتى قومه فأبلغهم فلم يدروا ما أراد وأحضروا الحارث وقصّوا عليه خبر الرسول.

فقال للرسول: أقصص عليّ أول قصتك فقصّ عليه أول ما كلمه حتى أتى على آخره.

فقال: أبلغه التحية والسلام وأخبره إنا نستوصي بما أوصى به فعاد إليه الرسول ثم قال لبني العنبر: إن صاحبكم قد بيّن، أما الرمل الذي جعل في كفه فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يُحصى، وأما الشمس التي أوما إليها فإنه يقول ذلك أوضح من الشمس، وأما جملة الأحر فالصمان فإنه يأمركم أن ترتحلوا عنه، وأما ناقته العبساء فإنه يأمركم أن تتحرزوا في الدهنا، وأما بنو مالك فإنه يأمركم أن تنذروهم، وأما إيراقي العوسج فإن القوم قد لبسوا السلاح، وأما اشتكاء النساء فإنه يريد أن النساء قد حرزنا الشكا - وهي أسقية الماء للغزو - فحذر بنو العنبر وركبوا الدهنا وأنذروا بني مالك فلم يقبلوا منهم، ثم إن اللهازم وعجلاً وعنزة أتوهم فوجدوهم قد ارتحلوا فأوقعوا ببني دارم بالوقيط واقتتلوا قتالاً شديداً عظمت الحرب بينهم فأسرت ربيعة جماعة من رؤساء بني تميم وبيانهم في التواريخ.

ومن أيامهم يوم فيف الرياح: وفيف الرياح موضع بالدهنا قاله في القاموس وهو بني عامر بن صعصعة والحارث بن كعب، وكان من خبره أن بني عامر كانت تطلب بني الحارث بن كعب بأثار كثيرة فجمع لهم الحصين بن يزيد بن بسمة الحارثي واستعان بجعفي وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومرء وصداء ونهد وخنعم وشهران وناهش ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم متجمعون مكاناً يقال له: فيف الرياح وهو الذي ذكرناه ومع مذحج النساء والذراري حتى لا يفروا فاجتمعت بنو عامر.

فقال لهم عامر بن الطفيل: أغيروا بنا على قوم فإني أرجو أن نأخذ غنائهم ونُسبي نسائهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم فأجابوه إلى ذلك وساروا إليهم فلما دنوا من بني الحارث ومذحج ومن معهم أخبرتهم عيونهم فحذروا فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام، وشهدت بنو نمير يومئذ مع عامر بن الطفيل فأبلوا بلاءً حسناً وقد طعن عامر بن الطفيل فأبلوا بلاءً حسناً وقد طعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة إلى نحره إلى سرته عشرين طعنةً وكان عامر في ذلك اليوم يتعهد الناس ويقول لواحد واحد منهم: يا فلان، ما رأيتك فعلت شيئاً فكان كل من أبلى بلاءً حسناً أتاه فأراه الدم على رمح وعلى سيفه فاتاه رجل من الحارثيين وقال: يا أبا علي، انظر ما صنعت بالقوم انظر إلى رمحي فلما أقبل إليه عامر لينظره طعنه بالرمح ففقأ عينه وترك رمحه وعاد إلى قومه، وإنما دعاه إلى ذلك ما رآه يفعل بقومه فقال هذا والله مبير قومي

وأسرع القتل في الفريقين جميعًا ثم افترقوا ولم يستفد بعضهم من بعض غنيمة وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر.

ومن أيامهم يوم السلان: بضم السين وكان من خبره أن النعمان بن المنذر كان يجهز كل عام تجارة لتباع بعكاظ فعرضت بنو عامر لبعض ما جهزه فأخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث إلى أخيه لأمه وهو وبرة بن رومانس الكلبي وبعث إلى صنايعه ووضايعه والصنائع من كان يصطنعه من العرب فيضربه والوضايح هم الذين كانوا شبه المشايخ وأرسل إلى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فأجابوه فأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه، ومعهم حبيش بن دلف وكان فارسًا شجاعًا فاجتمعوا في حبيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرًا وأمرهم بتسيرها وقال لهم إذا فرغتم من عكاظ فانسلخت الحرم ورجع كل إلى بلاده فاقصدوا بني عامر فإنهم قريب بنواحي السلان فخرجوا وكتبوا أمرهم وقالوا: أخرجنا لثلاثا يتعرض أحد لتجارة الملاك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فأرسل عبد الله بن جدعان قاصدًا إلى بني عامر يعلمهم الخبر فسار إليهم وأخبرهم خبرهم فحذروا وتحرزوا ووضعوا العيون وعلى بني عامر، عامر بن مالك ملاعب الأسنة فأقبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا قتالًا شديدًا فلما رآه أبو براء عامر بن مابك وما يصنع ببني عامر هو بنوه حمل عليه وكان أبو براء شديد الساعد فلما حمل على ضرار اقتتلا فسقط ضرار إلى الأرض وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب وكان شجاعًا فقال: من سره بنوه ساءت نفسة فذهبت مثلًا يعني من

ستره بنوه إذا صاروا رجالاً كبيراً وضعف فسأه ذلك وجعل أبو براء بلح على ضرار طمعاً في فدائه وجعل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء، قال له: لتموتن أو لأموتن دونك فأحلني على رجل له فداء فأوما ضرار على حبيش بن دلف وكان سيدياً فحمل عليه أبو براء فأسرته، وكان جيش أسود مخيفاً ذميماً فلما رآه كذلك ظنه عبداً وأن ضرار خدعه ولما علم حبيش من أبي براء ذلك خاف أن يقتله فقال: أيها الرجل، إن كنت تريد اللبن يعين الإبل فقد أصبته فافتدى نفسه بأربعمائة بعير وهزم جيش النعمان فوصل المنهزمون على النعمان فأخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأسر الناس وما جرى له مع أبي براء فافتدى وبيرة نفسه بألف بعير وفرس من زيد فاستغنى زيد وكان قبله خفيف الحال قلت: وللسلان يوم آخر كان لربيعة على مذحج وقد فصل خبره في التواريخ.

ومن أيامهم يوم الرقم: وكان بين بني فزارة وبني عامر، قال أبو عبيدة: غزت عامر بن صعصعة غطفان مع بني عامر يومئذ عامر بن الطفيل شاباً فبلغوا واداي الرقم وبه بنوه مرة بن عوف بن سعد، ومعهم قوم من أشجع بن ريث بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان فهجمت عليهم بنو عامر بالرقم فالتقوا فاقتلوا قتالاً شديداً وأقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت: أنا أسماء بنت نوفل الفزاري وقيل: بنت غيره فبينما عامر يسألها إذ أخرج عليهم المنهزمون من قومه وبنو مرة في أعقابهم فلما أرى عامر ذلك ألقى درعه إلى أسماء وولى منهزماً فأدتها إليه بعد ذلك وتبعهم مرة وعليهم سنان بن حارثة المري وجعل الأشجعون

يذبحون كل من أسروه لوقعة كانت أوقعتها بنو عامر فذلك البطن من بني أشجع يسمون بني مذبح فذبحوا سبعين رجلاً منهم.

ومن أيامهم يوم الساحوق: قال أبو عبيدة: غزت بنو ذبيان بني عامر وهم بساحوق وعلى ذبيان ستان بن حارثة المري وقد جهزهم وأعطاهم الخيل والإبل وزودهم فأصابوا نعمةً كثيرًا وعادوا ولحقهم بنو عامر فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انهزمت بنو عامر وأصيب منهم رجال وركبوا الفلاة وكان الحر شديدًا فهلك أكثرهم عطشًا، وتفصيل ذلك في التواريخ.

ومن أيامهم حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب: كان زهير بن جناب الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاة، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه عاش مائتين وخمسين سنة أوقع فيها مائتي وقعة وكان شجاعًا وكان سبب غزوته غطفان أن بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم فتعرضت لهم صداء وبنو بغيض بأهليهم وأموالهم فقاتلوهم عن حريمهم فظهورا على صداء وفتكوا فيهم فغزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها فلما رأوا ذلك قالوا: والله لتتخذن حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عايذه فنبو حرماً ووليه بنو مرة بن عوف فبلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب، فقال: والله لا يكون ذلك أبداً وإنا حيٌّ ولا أخلي غطفان نتخذ حرماً أبداً فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فذكر حال غطفان وما بلغه عنها وقال: إن أعظم مآثرة يدخرها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك فأجابوه فغزا بهم غطفان وقاتلهم أشد قتال وظفر

بهم زهير وأصاب حاجته منهم وعطل ذلك الحرم على غطفان ورد النساء وأخذ
الأموال وقال في ذلك:

فلم تصبر لنا غطفان لما	تلاقينا وأحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتن	إلى عذراء شيمتها الحياء
فدونكموا ديوننا فاطلبوها	وأثاروا دونكم اللقواء
فإننا حيث لا نخفى عليكم	ليوث حين يختضر اللواء
فقد أضحى لحى بني جناب	فضاء الأرض والماء الرواء
ولولا صبرنا يوم التقينا	لقينا مثل ما لقيت صداء
غداة تصرعوا البنى بغيض	وصدق الطعن للنوكى شفاء

وأما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل، وكان سببها أن أبرهة حين طلع على
نجد أتاه زهير فأكرمه وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على بكر وتغلب ابني
وائل فوليهم حتى أصابهم سنة فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخوارج فأقام بهم
زهير ومنعهم من النجعة حتى يوأدوا ما عليهم فكادت مواشيهم تهلك فلما منعهم
أتى إليه أحد بني تيم الله بن ثعلبة وهو نائم فاعتمد التميمي بالسيف على بطن زهير
فمرق سيفه حتى خرج من ظهره مارقاً بين الصفاق وسلمت أمعاؤه وما في بطنه
وظن أنه قد قتله وعلم زهير أنه نفر من قومه فأمرهم أن يظهروا أنه ميت وأن
يستأذنوا بكرًا وتغلب في دفنه فإذا أذنوا دفنوا ثيابًا ملفوفة وساورا به مجدين إلى
قومهم ففعلوا ذلك فأذن لهم بكر وتغلب في دفنه فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابًا
ملفوفة ومن يشك من رآها إن فيها ميتًا ثم ساروا مجدين إلى قومهم فجمع لهم زهير

الجموع ومن قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرًا وتغلبًا، وكانوا علموا به فاقتلوا قتالًا شديدًا فانهمزمت بكر وتغلب وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة وأخذت الأموال وكثرت القتل في تغلب والأسر بجماعة من فرسانهم ووجوههم.

وأيام العرب في ما بينهم في الجاهلية والإسلام كثيرة لا يسعها مثل هذا الموضوع فلا حاجة بهذا الكتاب إلى ذكرها.